

الأُضحِيَّةُ فِي الإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْوَافِرَةِ، وَمِنْهَا الْهُدَايَةُ إِلَى الإِسْلَامِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ١٤، آيَةُ: ٣٧).

وَلَنَا ذِكْرِيَّاتٌ غَالِيَةٌ، وَذُرُوسٌ وَعِظَاتٌ بِالْعَةِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، تَشْدُنَا إِلَيْهِمَا عَبْرَ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ عِنْدَمَا نَتَوَجَّهُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ.

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَذْكُرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَيَتَذَكَّرُهُمَا خُصُوصًا فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، وَأَيَّامِ عِيدِ الْأُضْحَى، فَفِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، تَرَكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمَّهُ هَاجَرَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فِي مَوْضِعٍ لَا سَاكِنَ فِيهِ، وَلَا كَلَاءً وَلَا مَاءً، وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَصَرَّعَ إِلَى مَوْلَاهُ بِصِدْقٍ وَإِنَابَةٍ، بَأَنْ يَجْعَلَ قُلُوبَ النَّاسِ تَهْوِي ذَلِكَ الْبَلَدَ الْقَفْرَ، وَدَعَاهُ أَنْ يَرْزُقَ أَهْلَ الْمَكَانِ الطَّاهِرِ مِنَ الثَّمَرَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴿١٣﴾". (سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢، آيَةُ: ١٢٦).

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِقَامَةِ أَرْكَانِ الْبَيْتِ، وَالْأَذَانَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَإِذَا بِذَلِكَ الْقَفْرِ الصَّحْرَاءِ يُصْبِحُ بَلَدًا آمِنًا، تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحِنُّ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَتَدْرِفُ الدُّمُوعُ لِفِرَاقِهِ.

وَلَقَدْ صَاحَبَتْ حَيَاةَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِبْتِلَاءَاتٌ تَمْحِصُ وَاخْتِبَارٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْقَذَهُ مِنْهَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ". (سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: ٢١، آيَةُ: ٦٩).

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبًّا جَمًّا، فَأَمْتَحَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُحِبُّ لِيُمَحِّصَ إِيمَانَهُ، فَكَانَ جَوَابُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤِي إِلَىٰ أَرْضِي فِي السَّامِ إِلَيَّ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَا بَتِ أَعْلَىٰ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٧﴾ ". (سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٣٧، آيَةُ: ١٠٢).

وَتَلَّىٰ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمِيْعَادِ الْمَعْلُومِ وَعَلَىٰ أَرْضِ مَنَى الطَّاهِرَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ لِيَنْقُذَ أَمْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَاكَ ظَهَرَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ، وَوَاجَهَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُلِّ مَظَاهِرِ الشَّفَقَةِ وَالْحَنَانِ، فَاتِحًا لَهُ أَبْوَابَ التَّوْبِ، لَعَلَّهَا أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ، وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْحَىٰ عَلَىٰ حَصِيَّاتٍ مِنْ أَرْضِ مَنَى الطَّاهِرَةِ، وَيُلْقِي بِهَا عَلَى الشَّيْطَانِ قَائِلًا: " إِخْسَأْ يَا لَعِينُ " وَتَوَجَّهَ بِسُكُونِهِ نَحْوَ ابْنِهِ قَائِلًا: " بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُ أَكْبَرُ، إِرْضَاءً لِلرَّحْمَنِ، وَإِغْضَابًا لِلشَّيْطَانِ "، وَهَذَاكَ أَدْرَكَ إِبْلِيسُ أَنَّ جُهُودَهُ لَنْ تُفْلِحَ، وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ صِدْقَ النِّيَّةِ وَمَاضِي الْعَزْمِ وَالْإِرَادَةِ، فَحَصَلَ الْقَصْدُ فِي هَذَا الْإِمْتِحَانِ، وَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِوَفْقِ التَّنْفِيدِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: " وَتَأْدِينُهُ أَنْ يُبْرَاهِيمُ ﴿٣٧﴾ قَدْ صَدَّقَ الرَّعْيَاءَ إِنْ كَذَلِكَ تُجْرَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ". (سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٣٧، الْآيَتَانِ: ١٠٤-١٠٥).

وَفُدِيَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَبْشٍ عَظِيمٍ، تَجَسِيمًا لِقُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَةِ، وَإِمْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: " وَقَدْ يَنْدُهُ بِذِي عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ". (سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٣٧، آيَةُ: ١٠٧).

وَأَصْبَحَ هَذَا الْحَدِيثُ سُنَّةً يُحْيِيهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَامٍ، مِنَ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْصِيلِ لِمَعَانِي الْفِدَاءِ وَالتَّضْحِيَةِ، وَالتَّطَاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَمْرٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: " فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٣٧﴾ ". (سُورَةُ الْكُوفِرِ: ١٠٨، آيَةُ: ٢).

وَالأُضْحِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، وَلِتَكُنْ مِنْ أَطْيَبِ مَا لَنَا لَأَسِيْمًا الْأَقْرَنُ الْأَمْلَحُ، وَهُوَ الْأَبْيَضُ إِفْتِدَاءً بِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبِتَرْتُّبٍ عَلَى الْأُضْحِيَّةِ الْأَجْرُ الْكَبِيرُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ، وَأَنَا أُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ. (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ٧٣- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ٧- بَابٌ فِي أُضْحِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ وَيُذَكَّرُ سَمَيْنَيْنِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٥٥٥٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ، سَمَيْنَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوعَيْنِ، فَذَبَحَ أَحَدَهُمَا عَنْ أُمَّتِهِ لِمَنْ شَهِدَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَشَهِدَ لَهُ بِالْبَلَاغِ، وَذَبَحَ الْآخَرَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، ٢٧- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ١- بَابُ أَضَاحِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣٢٤١). دَارُ السَّلَامِ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطَبِّئُوا بِهَا نَفْسًا". (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، ١٥- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ١- بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأُضْحِيَّةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ١٥٧٢). التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. دَارُ السَّلَامِ: حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّنَا". (سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، ٢٧- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ٢- بَابُ الْأَضَاحِيِّ وَاجِبَةُ هِيَ أُمَّ لَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣٢٤٢). دَارُ السَّلَامِ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَقْطَعُ شَعْرَهُ وَأَظْفَارَهُ مِنْ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، عَنْ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ لَهُ ذَبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ".

(صَحِيحُ مُسْلِمٍ، ٣٦- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ٧- بَابُ نَهْيِ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ مُرِيدُ التَّضْحِيَّةِ، أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٥٢٣٦).

وَتُدْبَحُ الْأَضْحِيَّةُ بَعْدَ صَلَاةِ عِيدِ الْأَضْحَى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ". (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، ٧٣- كِتَابُ الْأَضَاحِيِّ، ١- بَابُ سُنَّةِ الْأَضْحِيَّةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٥٥٤٦).

نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعِزَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَنْ يَعْمَنَا وَإِيَّاكُمْ بِعَفْوِهِ، وَأَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِوَأَسِعِ فَضْلِهِ، وَأَنْ يُدْخِلَنَا بِرَحْمَتِهِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

نَفْعِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.